٨- بابُ مَنْ تبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} (النَّجْم:٢٢).

وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ؛ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ - وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ -، وَلِلمُشْرِكِيْنَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُوْنَ عِنْدَهَا وَيَنُوْطُوْنَ بِهَا أَسْلِحَتَهُم، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُوْلَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ! قُلْتُم - وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ - كَمَا قَالَتْ بَنو إِسْرَائِيْلَ لِمُوْسَى: {اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} (الأَعْرَاف:١٣٨)، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ. (١)

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ النَّجْمِ.

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ صُوْرَةِ الأَمْرِ الَّذِيْ طَلَبُوا.

الثَّالِثَةُ: كَوْنُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا.

الرَّابِعَةُ: كَوْنُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِذَلِكَ؛ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ.

الخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا؛ فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بِالجَهْلِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ وَالوَعْدِ بِالمَغْفِرَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ.

السَّابِعَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْذِرْهُمْ بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: (اَللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ! لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)؛ فَغَلَّظَ الأَمْرَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ.

الثَّامِنَةُ: الأَمْرُ الكَبِيْرُ - وَهُوَ المَقْصُوْدُ - أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طَلَبَهُمْ كَطَلَبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَالُوا لِمُوْسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا}.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ هَذَا مِنْ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَى أُولَئِكَ.

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى الفُتْيَا، وَهُوَ لَا يَحْلِفُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الشِّرْكَ فِيْهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدُّوا بِهَذَا.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُمْ (وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ) ؛ فِيْهِ أَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: التَّكْبِيرُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ - خِلَافًا لِمَنْ كَرِهَهُ -.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: سَدُّ الذَّرَائِعِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الغَضَبُ عِنْدَ التَّعْلِيمِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: القَاعِدَةُ الكُلِّيَّةُ لِقَوْلِهِ (إِنَّهَا السُّنَنُ).

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذَا عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ لِكَوْنِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ مَا ذَمَّ اللهُ بِهِ اليَهُوْدَ وَالنَّصَارَى فِي القُرْآنِ؛ أَنَّهُ لَنَا.

---

١) رواه الترمذي برقم (٢١٨٠) .

العِشْرُوْنَ: أَنَّهُ مُتَقَرَّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّ العِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَى الأَمْرِ، فَصَارَ فِيْهِ التَّنْبِيْهُ عَلَى مَسَائِلِ القَبْرِ أَمَّا (مَنْ رَبُّكَ؟) فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا (مَنْ نَبِيّكَ؟) ؛ فَمِنْ إِخْبَارِهِ بِأَنْبَاءِ الغَيْبِ، وَأَمَّا (مَا دِينُكَ) فَمِنْ قَوْلِهِمْ (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا الخَ) إِلَى آخِرِهِ.
الحَادِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ مَذْمُومَةٌ كَسُنَّةِ المُشْرِكِيْنَ.
الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُوْنَ: أَنَّ المُنْتَقِلَ مِنَ البَاطِلِ الَّذِيْ اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُوْنَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ العَادَةِ؛ لِقَوْلِهِ (وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ).

الشرح:

الكلام في هذا الباب موصول بما سبق من مسألة الأسباب وموقف الناس من الأسباب التي يعتقدون أنَّها تجلب لهم نفعًا أو تدفع عنهم ضرًا ، وما يحصل فيها من الخلط كما سبق في مسألة اتخاذ الحلْقة والخيوط لجلب النفع أو لدفع الضر وعقب ذلك بالكلام على الرقى والتمائم والتِّوَلَة ، ثم يُكْمل المؤلف رحمه الله تعالى بقية الحديث في هذه المسألة وبيان الخطر الذي يقع فيه الكثير من الناس ، وهي مسألة البركة أو التبرك وطلب الخير والنفع بابتغاء البَرَكة من أشياء أو أماكن أو أشخاص أو أزمنة معينة يظن الناس أنَّ فيها البركة وأنَّها تجلب لهم خيرًا أو تدفع عنهم شرًا ، وهذه المسألة المجتمع الإسلامي مُبتلى بها من مشارق الأرض إلى مغاربها في صورٍ كثيرة متنوعة سنتكلم عليها بالتدريج في مواطنها إن شاء الله تعالى ، فتجد من ذلك أناساً يذهبون إلى صخور معينة في أماكن معينة في العالم الإسلامي يتمسَّحون بهذه الصخور الكبيرة والصغيرة لطلب الحمل مثلاً كما يحصل في بلاد الشام في قرى بعلبك من وجود صخور هناك تُعرف بصخور الحوامل تذهب إليها النساء ، والمرأة التي تريد الحمل ، وأماكن أخرى يذهب الناس فيها إلى أصحاب الأضرحة ـ الأولياء كما زعموا ـ فيُعلِّقون بهم الستائر والملاءات ونحو ذلك بقصد أن تنتقل البركة من ضريح هذا الولي أو هذا الميت أو هذا الصالح إلى هذه المرأة التي تريد الولد مثلاً أو تريد الشفاء . وأماكن أخرى يَتَبَرَّكُون فيها بالأعمدة والأبواب كما رأينا ذلك في مكةَ المكرمةِ عندَ بيتِ اللهِ الحرامِ وإنْ شئت أن تقول في بيت الله الحرام ، أمَّا عند بيت الله الحرام فإنَّهم يذهبون إلى ما يُعرف بالبيت الذي وُلد فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو الآن بداخله مكتبة فيأتون هذا البيت من بقاع كثيرة جدًا من العالم ، خاصة في أوقات الحج يأتون لهذا البيت الذي عرفوا أو قرءوا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وُلد فيه ، فيأتون إليه فيتبرَّكون به ويتمسحون بجدرانه وبنوافذه ويظلون عنده الساعات الطوال ، فإذا كان هذا الكلام يحصل في مهبط الوحي وفي البلدة التي بدأت فيها الرسالة فكيف بما عداها من البلدان و القرى و الهُجر و البوادي و غير ذلك ؟!

فهذه مأساة نعيشها في هذا العصر وهي موجودة من قبل لكن نقول هي منتشرة في العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه على صورٍ متنوعة ألا وهي مسألة طلب البركة من أماكن أو أشياء أو في أزمنة محددة لم تشرع أو في أشخاص أو في غير ذلك لم يُجعل

فيها البركة شرعًا ولا قدرًا أو ولا كونًا ، أي لم يُجعل فيها النفع أو الإتيان بالخير لا بالشرع الديني ولا بالأمر القدري الكوني .

فمن هنا يظهر لنا أهمية هذا الباب وما يتعلَّق به من أحكام ؛ لأنَّه إذا قررنا هذا الواقع الأليم فما هي الأحكام التي تتعلق به ، وما موقفنا منه ، وماذا نفعل مع من يفعل ذلك هل يكفرون أو يعذرون ، وما موقف المسلم من هذه المسألة الكبيرة التي نعايشها الآن ، ويعايشها كثير من أبناء العالم الإسلامي ؟

قال المؤلف رحمه الله تعالى : **باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما .**

البركة في اللغة يراد بها أحد شيئين : فإمَّا أن تكون مأخوذة من البروك ومن ذلك بروك البعير ، والبعير عندما يَبرُك فإنَّه يكون فيه نوع من الثبات والملازمة للمكان ، وهذا أحد معاني كلمة البرَكة ، أنَّ فيها ثبات الخير وملازمة للخير ، وأيضًا من معانيها أنها مأخوذة من البِرْكة وهي مجتمع الماء أي المكان الذي يجتمع فيه الماء ، فيتحصَّل من هذا بأنَّ البرَكة فيها زيادة الخير وكثرتُه ونماؤه وملازمته وثباته ، فالتبرك معناه طلب البركة ، وطلب كثرة الخير ونمائه وثباته واستمراره وملازمته.

وقد ورد في كتاب الله جل وعلا هذا اللفظ في عدة تصاريف منها أنَّه أتى بلفظ تبارك ، وقال أهل العلم : أنَّ تبارك لا ينبغي أن يطلق إلا على الله جل وعلا **{ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ }** [الملك :١] ، **{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ}** [الفرقان:١] فلا يصح أن تقول : تباركتَ يا فلان ، أو تبارك خيرُك يا فلان ، فإنَّ هذا اللفظ نص أهل العلم على أنَّه لا يجوز أن يطلق إلا على الله جل علا وحده ، وهنا ونقرر قاعدة مهمة : أنَّ البركة من الله جل وعلا ، أي أنها توقيفية ، فالبركة بيده جل وعلا كما قال عيسى عليه السلام :**{ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ}** [مريم :٣١] وكما قال تعالى عن إبراهيم : **{وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ }** [الصافات :١٣٣] فالله جلَّ وعلا هو الذي يبارك فيمن شاء كيْفما شاء سبحانه وتعالى .

فالبركة تنقسم إلى بركة حقيقية ، وبركة غير حقيقية [موهومة أو باطلة] .

والبركة الحقيقية إمَّا أن تكون في الزمان أو في الأمكنة والبقاع أوفي الأشخاص أوفي بعض الأشياء الحسية .

• وبركة كل شيء بحسبه ، فبركة الزمان بحسبه ، وبركة المكان بحسبه فبركة الزمان كبركة ليلة القدر بحسبها يعني باعتبار ما يحصُل فيها من الخير والأجر العظيم والثواب لمن اجتهد فيها وحازها أو كان من أهلها ، كذلك شهر رمضان شهر مبارك باعتبار ما يحصل فيه من المغفرة لمن صامه وأدى الحقوق فيه ، أي أدى حق الصوم فلم ينقض صومه بالرفث واللغو والمعاصي ونحو ذلك ، فبركته بحسب ما يحصل فيه من الثواب العظيم والمغفرة لمن صام هذا الشهر إيمانًا واحتسابًا ، فهذان مثالان على بركة الزمان .

• بَرَكة الأمكنة والبقاع كما قال تعالى : **{ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً }** [آل عمران :٩٦] فالكعبة وما حولها في هذا المكان المبارك فيه بركة وهذه البركة

أيضًا بحسبها وهذه البركة باعتبار أنَّك تصلي في هذه البقعة الصلاة بمائة ألف فيحصل لك الخير الكثير بصلاتك في هذا المكان ، وأيضًا البركة في هذا المكان بما فيه من الطواف والعمرة والحج ، بما ليس في غيره لأنَّه لا يوجد مكان في الأرض غير هذا المكان يُطاف به أو يعتمر عنده أو يحج عنده إلا هذا المكان ، فالبركة في هذا المكان باعتبار ما يَحصُل عنده من تلك العبادات العظيمة من الطواف والعمرة والحج والصلاة ، ولا يَصِح ما يصنعه بعض الناس من التمسح بأحجار الكعبة ابتغاء أن ينقل البركة من أحجار الكعبة أو أستارها إلى نفسه أو جسده ، وهذه بركة موهومة باطلة غير صحيحة .

• كذلك البَرَكة في الأشخاصِ والذواتِ وهذه لا تكون لغير الأنبياء ، فهي للأنبياء ومنهم نبينا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقد كان أصحابُه إذا توضأ أو تَنَخَّم يقتتلون على وضوئه وعلى نخامته وعلى عرقه ونحو ذلك ، فهذه البركة حسية وليست لأحدٍ بعد الأنبياء أو بعده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، فليست لأبي بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا لباقي العشرة رضي الله عنه ولا لغيرهم ؛ لأنَّ الصحابة الذين فعلوا ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلوه مع غيره من الصحابة ولو كان من كبار الصحابة كصديق هذه الأمة رضي الله عنه ، واقرأ كتب التاريخ والسيِّر لا تكاد تجد أثرًا عن الصحابة أنهم اقتتلوا مثلاً على وضوء أبي بكر الصديق أو على عرقه أو شعره وكذلك مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو غيرهما .

وهذا يُبَيْن لك أنَّ ما يذكره بعض الشُرَّاح كالحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في « الفتح » عندما يأتي بالبركة التي للنبي صلى الله عليه وسلم الحسية يأتي ليقيس عليها غيره فيقول : يُؤخذ من هذا التبرك بذوات الصالحين !! فهذا موطن خطير ورد عليه سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى في عدة مواطن في المجلد الأوَل فعليك أن ننتبه لهذه الكلمة سواءً في شرح البخاري أو في شرح مسلم للنووي رحمه الله .

فالبَرَكة التي في النبي صلى الله عليه وسلم لا يُقاس عليها غيرُه لأنَّه ليس أحدٌ مثلَهُ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. والواقع من الصحابة كما مر أنَّهم لم يتبركوا بذوات أحدٍ بعده صلى الله عليه وسلم ، فإذا كنا نقول هذا في كبار الصحابة وفي العشرة المبشرين بالجنة وفيمن هو أجل وفيمن يأتي بعدهم كالأئمة الأربعة ففي هذا أبلغ رد على من يَتبَرَّكُون الآن ببعض مشايخ الصوفية ويتَمسَّحون بهم رجاء أن يأخذوا منهم البركة ، أو يتمسحون بعرَقهم أو بشعرهم أو بثيابهم أو بما يسقط من أيديهم من ماء أو من طعام ونحو ذلك مما هو مشهور وموجود فيمن يعرف أصحاب هذه الطرق في مشارق الأرض ومغاربها ابتداءً من أفغانستان وباكستان إلى بلاد الشام مرورًا بمصر وذهاباً إلى بلاد المغرب ودخولاً في أدغال أفريقيا ، والذي في أفريقيا أدهى وأَمَر كالسودان فالجهل فيهم أشد وأكثر ، وإذا أحببنا أن نتكلم أو نأتي بأمثلة أو بصور سنحتاج إلى أيام وليس إلى ساعات فالوضع في بعض الأماكن هناك سيء جدًا أكبر مما تتخيل .

فما فعله الصحابة رضي الله عنهم مع النبي صلى الله عليه وسلم لا يُقاس عليه غيره صلى الله عليه وسلم ، وفعل الصحابة مع الصديق ومع عمر ومع باقي العشرة ومع كبار الصحابة أنَّهم لم يتبركوا بذواتهم .

• والبركة الحقيقية الموجودة في بعض الأشياء التي جعلها الله جل وعلا مباركة كماء زمزم ، كما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، وَهِيَ طَعَامُ طُعْمٍ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ**»([1]) **وجاء في الحديث : « ماء زمزم لما شُرب له »** ([2])فجاء النص بأنَّ هذا الماء مبارك ، ومن أجل ذلك أخذَ الناسُ يستشفون به ويتداوون به ، فقد حصل بالاستشفاء به والدواء به الشئ العجيب والقصص فيه معروفة بكثرة ، وقد كان هناك من أصابهم السرطان وداروا على مستشفيات وأطباء العالم فلم يجدوا لهُ دواءً فلما قطنوا في مكة شهرًا يشربون من ماء زمزم ويتداوون به ذهب السرطان جُملةً واحدة ، وذهبوا إلى بلادهم وأجروا التحاليل فكأنْ لم يكن بهم وجعٌ البتة ، وهذا كتبت فيه الكتب ، وهناك كتب مؤلفة في ماء زمزم ، ومن آيات الله في هذا الماء أنَّه منذ أنْ ظهر في الوقت الذي كانت هاجر تسعى فيه بين الصفا والمروة ثم رجعت إلى ولدها إسماعيل وحصل ما حصل من نبع الماء من عند رجله بعدما ضرب المَلَك بجناحه تخرج من ذلك الوقت إلى الآن ، وماء زمزم من هذا البئر لم ينقطع ولم ينضب ولم ينته طيلة هذه السنين الطويلة جدًا ، وهذه آية باقية على وجه الأرض من آيات الله جل وعلا ، وكان الناس منذ عدة سنوات بإمكانهم أن ينزلوا في الحرم على السلالم يروا بئر زمزم في أسفل الحرم ويروا المواسير وهي خارجة وداخلة إلى أَخره لكن بعد التوسعة ولمَّا كان ذلك المكان ضيقًا على الطائفين فأُخذ أعلى البئر للطواف وأُخذ من البئر مواسير مياه بعيدة عن الطائفين فصار الناس يشربون منها ولا يستطيع أحد أن ينزل كما كان الناس ينزلون من قبل عند البئر يرونه بأعينهم ،

فهذه آية عظيمة أنَّ هذا الماء من هذا البئر لم ينقطع طوال هذه السنين الطويلة ، وهذه من الأشياء التي جُعل فيها البركة .

وماء زمزم سواء نُقل أم بقي هناك هو ماء زمزم لأنَّ بعض الناس عندهم شائعة أنَّ الماء إذا نقل من مكانه فَقَدَ قيمته المذكورة في الأحاديث وهذا غير صحيح ، فإنَّ الصحابة كانوا ينقلونه من مكة إلى المدينة معهم ولم يقل أحد أنَّ هذا يفقد الماء قيمته ، وهذه من نعمة الله سبحانه وتعالى .

• ومن الأشياء التي فيها بركة بنص الأحاديث (المسلم) فقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم : « **إن من الشجر لَمَا بركته كبركةِ المسلم** » ([3])هذا نص الحديث ، فقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة هذا السؤال من باب الاختبار فسالهم عن شجرة مثلها كمثل

---

[1]) روه الطيالسي في مسنده برقم (٤٥٩) .
[2]) رواه ابن ماجة في سننه برقم (٣٠٦٢) .
[3]) رواه البخاري برقم (٥٤٤٤) .

المسلم . فلم يُجب أحد ووقع الناس في شجر البوادي وكان ابن عمر يعرف الجواب لكنه نظر في أشياخ الصحابة وكبار الصحابة فلم يجد أحدًا أجاب فسكت ابن عمر ، فأخبر بعد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ هذه الشجرة هي النخلة ، لأنَّ فيها من الخير الكثير في ثمارها وفي غصونها وفيما يخرج منها وفي جُمَّارِها ما ذكره أهل العلم بالتفصيل ، فقد بَيَّنَ أهل العلم أنَّ البركة التي في المسلم بإيمانه واتباعه لنبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، هي بركة علم وعمل .

قوله : (بشجرٍ أو حجرٍ) شجر: اسم جنس يعني أي شجرٍ من أي نوع سواء ما وَرَد في الحديث كشجر السدر أو نخل من النخيل ، كما كان الحال في أول دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهَّاب في الجزيرة حيث كانت المرأة تأتي إلى النخلة وتحتضنها بذراعيها وتقول لها : يا فحل الفحول أُريدُ بعلاً قبل الحُول يعني قبل مرور الحَول تريد زوجًا ، فقد يَتَبَرك الإنسان بنخلة مثلاً أو شجرة من الأشجار كائنة ما كانت .

ومما يذكر أيضًا في الشجر أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى إلى الشجرةِ التي بايع الصحابة تحتها ببيعة الرضوان فقطعها ، لكي يقطع رضي الله عنه ـ وهو الفقيه الملهم المحدث ـ تعلق الناس بها .

قوله (أو حجرٍ) : اسم جنس أي حجر من الأحجار ، كما يوجد في قرى بعلبك أحجار اسمها حجر الحوامل .

وقوله (ونحوهما) : كأن يأتي إلى بقعة من البِقاع مثلاً أو بئرٍ من الآبار أو نحو ذلك .

قولـه(من تبـرَكَ) وسكت المؤلف رحمه الله عن حكم هذا المُتَبَرِّك أو لعلَّه تركَهُ ليسوق الأدلة والمسائل ليظهر الحكم .

فنقول : بأنَّ الذي يتبرك بالشجر أو بالحجر ونحوهما أو ببقعة من البقاع أو الآبار أو الأخشاب ونحو ذلك هو مشركٌ وهذا الشرك على أحد نوعين :

إمَّا أن يكون شركًا أكبر ، وإمَّا أن يكون شركًا أصغر بحسب حال المُتَبرك ، فإنْ كان المتبرك الذي يأتي لهذه البقعة أو لهذه الشجرة أو لهذا الحجر يعتقد أنَّ هذا الحجر يَضر أو يَنفع بنفسه أو أنَّ هذه الأحجار تُقَربه إلى الله جل وعلا أو هي واسطة بينه وبين الله سبحانه وتعالى فهذا مشركٌ شركًا أكبر ، لأن الله جل وعلا أخبر أنَّهم قالوا: **{ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى }** [الزمر:٣] فعلى هذا يكون مشركًا الشرك الأكبر المخرج من الملة المُوجب للخلود في النار المحبط لجميع الأعمال إذا مات على هذا الشرك ولم يتب منه .

أمَّا إذا أتى لهذه الشجرة أو لهذا الحجر وظنَّ أنَّ الله جلَّ وعلا جعل فيه فائدة وجعل فيه خيرًا وأنَّ هذا سبب فإنَّ هذا من الشرك الأصغر.

الدليل الأول :

- **وقولُ اللهِ تعالى : { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى } [النجم :١٩] .**

ثمَّ ذكرَ المؤلف رحمه الله أدلةً في هذا الباب على بُطلان التعلق بالأحجار والأشجار وغيرهما وأنَّها لا تنفع ولا تضر قال : **وقول الله جل وعلا { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى } [النجم :١٩] .**

• **واللَّاتّ** : تُقرأ اللَّاتّ بالتشديد كما قرأها ابن عباس وعدد من السلف ، وهو اسم فاعل من لَتَّ يعني يعجن العجين ، لتَّ السويق يعني يعجن السويق يخلطه في بعضه ، ودقيق السويق عبارة عن قمح أو قمح وشعير مع سمن وقد يخلط معه زبيباً يَلتَّهُ في بعضه يعني يَعجنه ، يَلتَّهُ لتًا فهذا اللَّاتّ بالتشديد أو اللَّات بالتخفيف كما قرأها الجمهور ، فعلى قراءة ابن عباس بالتشديد قالوا : أنَّ هذا رجل كان يَلُتَّ السويق للحاجّ في الطائف فيأتي بالدقيق مع السمن ويعجنه والذي يَمر به من الحجاج النازلين إلى مكة يعطيه من هذا السويق ، يعني كان رجلاً صالحًا فيما يقال ، ويفعل هذا عند صخرة بيضاء منقوشة كما جاء ذلك في كتب السيرة كسيرة ابن هشام ، فلمَّا مات هذا الرجل بَنَوْا على قبره بَيتًا أو على هذه الصخرة بيتًا يَتبرَّكون به ويعكفُون عنده ويذبحون عند هذا البيت وهم قوم ثَقيف الذين كانوا في الطائف ، وبعد الإسلام أرسل النبي صلى الله عليه وسلم المُغيرة بن شعبة فهَدَم هذا البيت الذي كان مضاهاة لبيت الله جلَّ وعلا .
وعلى قراءة التخفيف اللَّات قالوا : أنَّها مشتقة من اسم الإله اسم الله جلَّ وعلا ، وهذا من إلحادهم اشتقوا لأصنامهم ومعبوداتهم أسماء إناث كاللات وكما سيأتينا في مناة أيضًا والعُزَّى هذا على القول الثاني .

• **والعُزَّى** : اسم شجرة كانت بين مكة والطائف ، وقالوا أنَّها كانت في الأصل شجرة ثم بني بناء على ثلاث سمرات وكان عند هذه الشجرة سَدنة وامرأة من الكاهنات فأرسل إليها النبيُ صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فأَحْرَقَها ، فلمَّا رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم : لم تفعل شيئًا يعني مازالت العُزَّى قائمة فلمَّا رجعَ إليها أخذَ السدنةُ في الهُروب ووجد عند هذه الشجرة امرأة ناشرة شعرها من الكاهنات فقتلها ، فلمَّا رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم : **تلك العزى** ، وهذا الحديث حسن العلماء إسناده (١)فالعُزَّى إمَّا أنْ تكون مأخوذة من اسم الله العزيز وهي مؤنث أعز ، وأطلقوها على تلك الشجرة أو ذلك الطاغوت لهؤلاء القوم الذين كانوا بين مكة والطائف .

• أما الثالثة : وهي مناة فهي اسم لطاغوت من الطواغيت : صنم من الأصنام كانت بين مكة والمدينة في منطقة تسمى بالمشَلل كان يحج منها الأوس والخزرج وخزاعة فيبدءون الحج من هناك فهدمها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فيقول الله جل وعلا أفرأيتم هذه الآلهة وهذه الأصنام هل أَغنَت عنكم من الله شيئًا هل تنفع أو تضر ؟ أنتم تتبركون بها وتُعظِّمونها وتتعبدون عندها هل نفعتكم شيئًا ؟
فوجه الشاهد من هذه الآية في الترجمة أنَّ هؤلاء الذين يتبركون بالأشجار والأحجار لم تغنِ عنهم شيئًا ولم تنفعهم شيئًا .

الدليل الثاني :

---

١) رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٩٠٢) .

• وعن أبي واقِدٍ اللَّيثيّ قالَ : خَرَجْنَا مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى حُنَيْن ، ونحنُ حُدثاءُ عَهدٍ بكفرٍ ، وللمشركين سِدْرة يعكُفون عندها ويَنُوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذاتُ أنواطٍ ، فمررنا بسِدرةٍ ، فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواطٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبرُ ، إنَّها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : { اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } [الأعراف :١٣٨] ، لَتركَبُنَّ سَنَنَ من كان قَبلَكم » رواه الترمذي وصححه . ([1])

أبو واقد الليثي مختلفٌ في اسمه ولا يضر الاختلاف فيه ، فمن أسمائه التي قِيلت فيه أنه الحارث بن عوف أو الحارث بن مالك المتوفى في عام ثمانية وستين من الهجرة ، كان ممن أسلم عام فتح مكة.

قال أبو واقد الليثي رحمه الله تعالى : **خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين** . هذا كان بعد فتح مكة ، فدخل مكة من الصحابة الذين جاءوا من المدينة عشرة آلاف ثم زادوا ألفين فأصبح الجميع اثني عشر ألفًا اتجهوا إلى حنين وذلك في السنة الثامنة من الهجرة في شوال ، فلمَّا رأى الصحابة هذا العدد الكبير أُعجبوا به ، وقالوا : لن نُغلب اليوم من قلة ، سبحان الله !! كم كانوا في بدر ؟ كانوا في بدر ثلاثمائة وأربعة عشر وهو عدد قليل جدًا وحصل لهم ما حصل من الفتح والنصر ، وهم في حنين اثنا عشر ألفًا فأعجبوا وقالوا : لن نغلب اليوم من قلة ، قال تعالى ، **{ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً }** [التوبة : ٢٥] ، وهكذا المسلم ينبغي أن لا يعجب بنفسه ولا بعمله ولا بقدرته ولا بمنصبه ، وإنَّما يسلك الأسباب ويكون تَوكُّله على ربِّ الأسباب سبحانه وتعالى وهو رب العالمين ، فاتجهوا إلى حُنين وفيها قبيلة هوازن الذين جمعوا وخانوا ومَكروا وخططوا الخطط للإيقاع بالصحابة رضي الله عنهم فما أن دخل الصحابة الوادي إلا ووجدوا السِهام من كل جانب وقد أحيط بهم وهذا العدد الكبير بدأ في الهروب والفرار ولم يبقَ مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا حوالي مائة شخص من أصحابه المقربين رضي الله عن الجميع ، ثمَّ مَنَّ الله جل وعلا عليهم ورجعت الدائرة لهم وانتصروا بفضلِ الله سبحانه وتعالى واستفادوا هذا الدرس العظيم .

قال : خرجنا إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، يعني أسلموا جديدًا ، فهذا فيه اعتذار من هذا الصحابي يعتذر عن نفسه وعن أصحابه الذين حصل منهم ما حصل .

ويفهم من هذا أنَّ الإنسان الذي يدخل جديداً في الإسلام ليس كالسابقين لذلك لابد أنْ يُراعى في الحكم عليه إذا ارتكب فعلاً مخالفًا أو مناقضًا ، فليس المسلم الجديد الذي نشأ في بادية بعيدة أو أسلم حديثًا كإنسان عاش في بلاد الإسلام يسمع كل يوم آيات الله تُتلى وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تتلى أو تُقرأ ، وهذا أيضًا يؤخذ منه أهمية تعلم التوحيد والعقيدة .

---

[1]) رواه الترمذي برقم (٢١٨٠) .

قال : (وللمشركين سِدْرة) وهي شجرة النبق المعروفة ، وجاء في بعض الروايات أنَّها سدرة عظيمة خضراء ([1]) ، وللمشركين سِدْرة **(يعكفُون) عندها** ، والعكوف : هو ملازمة المكان أو ملازمة الشيء بقصد التعظيم والقربة ، والاعتكاف عبادة من العبادات قال تعالى : **(ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد)**

وعليه فشرك هؤلاء اجتمع فيه هذه الثلاثة :

أولاً : تعظيم هذا المكان .

ثانيًا : العكوف عنده وملازمته للقربة والتعظيم والعبادة .

ثالثاً : طلب البركة من هذه الشجرة بتعليق السيوف بها .

(يَنُوطون بها أسلحتهم) أي يعلقون بها أسلحتهم ابتغاء البركة . فإذا علقت السيف في هذا المكان أصبح السيف أقوى وأمضى وأقطع في الحرب وأثبت في اليد .

(يقال لها :ذاتُ أنواط) : يعني ذات علائق ، والأنواط جمع نوط وهو ما يُناط أي ما يعلَّق به ، فهي شجرة ذات أغصان يُعلَّق بها الأسلحة لابتغاء البركة لتكون أقوى في الحرب .

قال : فمررنا بسدرة ، الصحابة رأوا هذا المنظر الغريب يعني شجرة عظيمة خضراء كبيرة يعكُف عندها المشركون ويعلِّقون عليها أسلحتهم ؛ **قال فمررنا بسدرة** أي شجرة قريبة منها ، **فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط** ، وهذا فيه خطر التقليد فالإنسان ينأى في دينه عن التقليد ويحذر التقليد ؛ خاصة تقليد الكفَّار والمشركين والجُهَّال ، وكم في أمتنا من المقلِّدين الذين يتشبَّهون بالكفار ويَودُون أن تكون حياتهم في شكلها وهيئتها ومنظرها وكلامهم وسمتهم مثل الكفار ، لكن الصحابة رضي الله عنهم من أدبهم أنَّهم لم يفعلوا شيئًا حتى يستأذنوا من النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وهذا من أدب الصحابة رضي الله عنهم ؛ **فقالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط** ، وهكذا ينبغي على النَّاس أن يرجعوا إلى علمائهم ويراجعوا علماءهم فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم خاصة أمور الدين وأمور الاعتقاد .

وهؤلاء الصحابة لا يعرفون أنَّ هذا الفعل حرام ، و هذا يُؤخذ منه فائدة ، أنَّ الإنسان الفاضل قد يغيب عنه بعض الأمور أو أفراد التوحيد وبعض مسائل العقيدة قد يغفل الإنسان عنها وقد تغيب عنه ، قد تغيب عن الإنسان الفاضل العالم بعض مسائل التوحيد أو بعض المسائل المهمة ، وهذا يقال في العقيدة وفي العبادة وفي المعاملات .

فهذاالإمام مالك رحمه الله تعالى عندما سئل عن تخليل الأصابع في الوضوء فقال : لا أعرف فيه شيئًا يعني لم أعرف فيه حديثًا ، فقال له أحد طلابه : يا إمام ورد فيه حديث وذكر له حديث: « **وَخَلِّل بين الأصابع** » ([2]) فقال الإمام مالك : هذا حديث جيد ما

---

[1]) في مسند أحمد برقم (٢١٨٩٧) .

[2]) رواه ابن ماجة برقم (٤٤٨) .

سمعت به إلا الساعة ، فقد يغيب عن الإنسان الفاضل بعض المسائل أو أفراد المسائل فلا يستغرب الإنسان ، ولا يُسرع باللوم .

ولما قالوا : **(اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواطٍ)** قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم منكرًا عليهم : **(الله أكبر)** ، وهذا يُؤخذ منه أنَّ الإنسان عند التعجب أو عند الإنكار له أن يُسبِّح وله أن يكبر ، يقول : سبحان الله إكبارًا واستعظامًا أو الله أكبر استعظاماً لهذا الأمر الذي رآه .

(**الله أكبر إنَّها السُنن**) يعني جمع سُنِّة وهي الطرق التي تُسْلَك ، إنها السُنن والطرق التي يسلكها الناس يتبع بعضهم بعضًا وهذا يُبَيْن خطورة التقليد وأنَّ هذه الأمة تقلد الأمم السابقة ، ومن هذه الأمم السابقة اليهود أو بنو إسرائيل كما في هذا الحديث فأنكر عليهم بهذه الثلاث : قال : **اللهُ أكبر** ثم قال : **إنَّها السنن** يعني الطرق المسلوكة التي يسلكه الناس ويتبع بعضهم بعضًا في تقليد الآخر للأول بغير بصيرة وبغير علم ثم قال : **قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى** ، وإسرائيل اسم نبي الله يعقوب عليه السلام .

فأنكر عليهم بهذه الثلاث ، قال موسى : {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةً قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} وهذا يُبين خطر الجهل وخاصة في أمور الاعتقاد ، وأنَّه الذي أوقع الأمم في الشرك ، ويُبين أيضًا أهمية تعلم أمور العقيدة وأمور التوحيد .

قال : « الله أكبرُ ، إنَّها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : { **اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** } [الأعراف :١٣٨] فأنكر عليهم ثم قال : « **لَتركَبُنَّ سَنَنَ من كان قَبلَكم** » يعني الطرق التي سلكها من قبلكم ، لكن هل كفَّرهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ؟

الجواب : لا ، **أولاً** : لأنَّهم طلبوا ولم يفعلوا ، وكانوا جُهَّالاً فشبَّه مقالتهم بمقالة أولئك ولكنْ أولئك الذين كانوا مع موسى عليه السلام عبدوا العجلَ فعلاً وفعلوا ، لكنَّ الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوا لكنَّهم قالوا جهلاً منهم بأنَّ هذا من الشرك وأنَّ هذا محرم ، فلم يعذرهم في الإنكار ولم يكفروا بهذا .

ثانياً : لأنَّهم كانوا حُدَثَاءُ عهد بكفر وأسلموا حديثًا وطلبوا هذا الطلب الذي شابهوا فيه بني إسرائيل ، أنَّه لم يعذرهم يعني في الإنكار ولكنَّه لم يحكم عليهم بكفرٍ ولا ردِّة ؛ لأنَّهم لم يفعلوا بل قالوا فقط جهلاً منهم بهذا القول .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النجم . وقد تكلمنا على تفسيرها بالتفصيل ، {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} .

الثانية : معرفة صورة الأمر الذي طلبوا .

وصورة الأمر الذي طلبوا أن يجعل لهم شجرة يُعلِّقون ويَنُوطون بها أسلحتهم طلبًا للبركة ، وحتي تكون هذه الأسلحة أقوى في الحرب وأمضى في الضرب .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا . لذلك لم يَكفروا وهم لم يعلموا بهذا الحكم لأنَّهم كانوا حَدَيِثِي عهدٍ بكفر ولم يعلموا ولم يفعلوا فلذلك لم يكفروا ومع ذلك أنكر عليهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك ، لظنِّهم أنه يحبه . وهذه تأخذ من أن هؤلاء خرجوا للجهاد فحملوا السيف للجهاد في سبيل الله جلَّ وعلا فأرادوا أن تكون هذه السيوف التي سيقاتلون بها أقوى في قتال الكفَّار ، وكلما كانت أقوى كان ذلك سبباً في النصر على أعداء الله جل وعلا ، فهم لم يقصدوا من الشجرة التبرك بها في أكل أو شرب وإنما قصدوا أن تكون الأسلحة قوية لتكون أعون لهم في مجاهدة الكفار .

الخامسة : أنَّهم إذا جهلوا هذا ، فغيْرهم أولى بالجهل .

يعني إذا كان هؤلاء الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وهم معه وبين ظهراني النبي صلى الله عليه وسلم فعلوا هذا ، وطلبوا أمرًا صورته صورةٌ شركية فما بالك بغيرهم ممن لم يشاهد التنزيل ولم يعش بين ظهور الصحابة رضي الله عنهم ، ولا تربى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فغيرهم أولى بالجهل ، وهذا نستفيد منهم فائدة : إننا لا نغتر بأعمال الجُهَّال ونقول : أكثر الناس يفعلون كذا في المكان الفلاني عند الحسين مثلاً عشرة آلاف أو عشرون ألفًا ، أو في مولد البدوي يأتي مليون أو مليونان !! ولو كانوا عشرة ملايين ، لا نغتر بأعمال الجُهَّال ، فإنَّ العبرة بما عليه أهل العلم من العلم والعمل بالأدلة الشرعية ، فأهل العلم يُستدل لهم ولا يُستدل بهم ولكنَّهم منارات على الطريق يهتدي بها الناس ، لكنَّ الحجة في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

السادسة : أنَّ لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

يعني الصحابة رضي الله عنهم لهم من الحسنات العظيمة لقوله جل وعلا { **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** } الفتح(١٨) ، وقوله { **لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ** } [الحديد :١٠] إلى آخر الآيات فإن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم مثلما قيل لأهل بدر : « **اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم** » (١)، ومع ذلك لم يدعهم ولم يتركهم النبي صلى الله عليه وسلم بل أنكر عليهم أشدَّ الإنكار ، وكذلك نحن لو كان لدينا من نحبه وهو قريب لنا لكنه وقع في شيء مثل ذلك فإننا لا ندعه لقرابته أو لمحبته ، أو لأنه صاحب العمل ، أو لأننا نخاف من كونه مديرًا أو رئيسًا في مصلحة أو نحو ذلك ؟ " لا " فإننا ننكر عليه لكن بالأسلوب الصحيح الذي جاء في كتاب ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكل فعلٍ بحسبه ، فهناك أفعال تحتاج إلى تغليظ في الإنكار ، وهناك أفعال تحتاج إلى مجرد موعظة ترغيب أو ترهيب ، وهناك أفعال تحتاج إلى مناقشة فإذا ناقشته اقتنع . فكلٌ بحسبه .

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٠٠٧) .

السابعة : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم بل رد عليهم . « الله أكبرُ ، إنَّها السنن ، لتتبعن سَنن من كان قبلكم » فغلظ الأمر بهذه الثلاث .

فلم يعذرهم في ترك الإنكار والتشديد والتغليظ عليهم ، وليس المراد لم يعذروا يعني لم يعذرهم بالجهل وكفرهم ؟! لا ، لم يكفرهم لأنَّ المؤلف سيأتي بعد قليل فيذكر أنَّ هذا داخل في الشرك الأصغر وأنهم لم يرتدوا بذلك .

الثامنة : الأمر الكبير ، وهو المقصود : أنَّه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى : « اجعل لنا إلهًا » . لأنَّ في كلا الطلبين منافاة للتوحيد وأنَّ التبرك بهذه الأمور التي لم يُجعل فيها بركة من الشرك ، فإن كان يعتقد أنَّ البركة ذاتية في هذه الأمور وأنه يقصدها لكي تدفع عنه ضرا أو تجلب له نفعًا أو تُقربه إلى الله فهذا شرك أكبر ، وإذا كان يعتقد أنها سبب من الأسباب موصلة أو أنَّ الله جل وعلا جعلها سبب في إيصال الخير إليه فهذا شركٌ أصغر.

التاسعة : أنَّ نفي هذا من معنى « لا إله إلا الله » مع دقته وخفائه على أولئك .

أي نفي التبرك بالشجر والحجر ونحوه من معنى لا إله إلا الله ، لأنَّ لا إله إلا الله تنفي أحقية أي إلهٍ سوى الله جلَّ وعلا في أي فردٍ من أفراد العبادة وتجعل العبادة الحقة للواحد الأحد لله سبحانه وتعالى ، وكذلك البركة لا تكون إلا منه جلَّ وعلا بما شرعه في دينه وبما وضع البركة فيه سبحانه وتعالى .

العاشرة : أنَّه حلف على الفُتيَا ، وهو لا يحلف إلا لمصلحة .

وذلك في قوله : **والذي نفسي بيده** ، يعني فيجوز لك أن تحلف على أمرٍ فيه مصلحة بدون أن تُستحلف ، وهذا ليس معناه أنَّ الإنسان في بيعه وشرائه يحلف على كل صغيرة وكبيرة كما يفعله بعض الناس .

الحادية عشرة : أنَّ الشرك فيه أكبر وأصغر ؛ لأنَّهم لم يرتدوا بهذا .

فصار فيه صورة الشرك في الأقوال ، مشابهة أقوال هؤلاء لقول بني إسرائيل (**اجعل لنا إلهاً**) . أنَّ الشرك فيه أكبر وأصغر ؛ لأنَّهم لم يرتدوا بهذا بل كان الشرك بمجرد قولهم ، ومشابهة هذا القول لما قالته بنو إسرائيل لموسى .

الثانية عشرة : قولهم : « ونحن حُدَثَاءُ عهد بكفر » ، فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .

فمن كان قديم الإسلام كان لا يجهل هذه الأمور ، أمَّا هؤلاء فكانوا حديثي عهد بالإسلام وهذا في زمان الصحابة ، لكن بعد الصحابة كيف يُوجد أناس حَديثِو عهد بالإسلام ؟

الجواب : قد يوجد ذلك في أناس أسلموا حديثاً وكانوا يعيشون في بلاد ليس فيها نور الرسالة ولا نور العلم بل فيها التشكيك في الإسلام والطعن وتشويه صورة الإسلام والمسلمين من اليهود والملاحدة والزنادقة والصوفية وأعداء الإسلام على مستوى العالم ، فهذا المسلم الجديد يقال أيضًا عنه أنه حديث عهد بالإسلام لذلك نصَّ الفقهاء على أنَّ ممن يُعذر بجهله الذي نشأ في بادية بعيدة أو كان حديث عهد بإسلام .

فمن عاش في صحراء سيناء أو الواحات ونحو ذلك بعيداً عن العلم وعن مناراته وبعيداً عن العلماء والمشايخ والكتب لا يعلم عن الإسلام إلا الصلاة والصيام والشعائر والأذان وقد يعرف الزكاة ولا يعرف تفاصيل أمور التوحيد .

فطلبة العلم يدرسون تفاصيل من العلم ؛ كثير من الناس لا يعرفونها فيقال : { **كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ** } [النساء :٩٤] فطالب العلم كانت عنده نسبة من الجهل معينة ؛ فلما طلب العلم بدأت هذه النسبة تزول بالتدريج ، وغيره نسبة هذا الجهل عنده مازالت قائمة ؛ فيحتاج لمن يزيلها ويدفعها عنه ويُعلِّمه بالأسلوب الحسن فعلى طالب العلم أن لا يكون همُّه أنَّ فلان كفر أم لم يكفر ، بل نترك الحكم لأهل العلم ، فلو ركِّز طالب العلم في رفع الجهل عن الناس لزالت أسئلته التي يسألها ، أمَّا إذا لم يهتم إلاٍ بالحكم على فلان وفلان ، فتبقى المشكلة كلها قائمة فمتى يرتفع الجهل ومتى يتعلم الجاهل .

وقد يتصور أن يأتي أناس لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه فقط ، وقد ذكرت في كتابي « الدر الثمين في ترجمة الشيخ ابن عثيمين » أنَّه عندما كان في مطار جدة في أيام الحج جاء مجموعة من الحجاج من خارج البلاد من روسيا ففوجئ الشيخ أنَّهم هجموا عليه هجومًا شديدًا كادوا يقتلونه يريدون أن يقبِّلوه ويعتنقوه ويسلموا عليه ، فاستغرب الشيخ ما شأن هؤلاء ؟ ما الذي حصل ؟ فجاء المترجم يقول له : بأنَّ هؤلاء كانوا يعيشون أيام الاتحاد السوفيتي الشيوعي تحت الأرض يدرسون في السراديب إذا أرادوا أن يقرؤوا كتابًا يدرسونه في الخفاء لأنَّ الدولة الشيوعية الحمراء إذا عرفت أنَّ هناك مجموعة تدرس هذه الكتب تقوم بإبادتها وقتلها وتشريدها ، فإذا أرادوا قراءة كتاب أو دراسة كتاب يدرسونها في الدهاليز وفي الكهوف حتى لا يعلم أحد بهم ، فلمَّا علموا أنَّ هذا هو الشيخ الذي كانوا يدرسون كتبه تحت الأرض لم يملكوا أنفسهم من البكاء ومن فرحة السلام على الشيخ ، فما بالك بهؤلاء الذين يَدرسون تحت الأرض مَنْ يُدَرِّسُهم ، وماذا سيصل إليهم من العلم ومن الكتب ، وكم من العلم يجهلونه ، وكم من العلم يعرفونه ؟ تَخيَّل هذا ، وهذه النقطة لاشك أنَّها لا تزال موجودة بحسب الأماكن وبحسب الأزمنة ، وفي بعض الأزمنة يظهر بعض العلم ويختفي بعض العلم ، وفي بعض الأمكنة يكون كثير من العلم مختف وبعضه ظاهر فالذي في أمريكا أو في اليابان أو في الصين لا يصله من العلم مثل الذي في البلاد التي فيها أهل العلم ، فالخفاء والظهور كما يقول أهل العلم بحسب الزمانٍ والمكان والأشخاص .

<u>الثالثة عشرة</u> : التكبير عند التعجب ، خلافًا لمن كرهه . فلا بأس عند التعجب أنَّ يقول الإنسان : الله أكبر ، أو يُسبِّح ، خلافًا لمن كرهه .

<u>الرابعة عشرة</u> : سد الذرائع .

سد الذرائع هذه قاعدة كبيرة في الشريعة ، والذرائع جمع ذريعة والذريعة هي الطريق الموصل إلى شيء آخر ، فسد الذرائع أي سد الطرق ، والمقصود بها هنا سد الطرق الموصلة إلى الشرك ، فهم فقط أرادوا أن يَنُوطوا بها أسلحتهم ، مرة يضعوا

عليها السلاح ، ومرة أخرى يتمسحون بها ، ومرة يفتنون بها ، ومرة يأخذون منها البركة ويضعون أيديهم عليها ، ومرة قد يعتكفون عندها فقد تُعبد كما عُبد العجل وكما عبدت أشجار ، وكما يُعبد الآن قبر البدوي ، وقبر الحسين وغير ذلك بصور مختلفة ومتنوعة ، إذاً فالشريعة جاءت بقاعدة عظيمة وهي سد الذرائع يعني سد الطرق التي توصل إلى الفتن أو الشرك أو المعاصي .

فقوله تعالى : **(وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى)** لم يقل سبحانه لا تزنوا مباشرةً ؛ وإنما قال : **(وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى)** بالنظر وبالكلام الفاحش أو بالمواعيد أو بالاختلاط أو بنحو ذلك **{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى }** [الإسراء :٣٢] ،**{لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ }** [الأنعام :١٤٢] هذه قاعدة كبيرة جدًا في الشريعة .

الخامسة عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .

والمقصود بأهل الجاهلية هنا بنو إسرائيل لأنَّ الذي فعلوه من الجاهلية ، الذي فعله بنو إسرائيل مع موسى عندما قالوا : **{ اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ }** [الأعراف :١٣٨] هذا من الجاهلية لأنَّه خلاف العلم ، فكل ما كان بخلاف العلم فهو من الجاهلية ، ولكن هل يصح أن نقول أننا في جاهلية أعظم من الجاهلية الأولى ؟

الجواب : لا يصح هذا ، ويكرر هذه الكلمة الأستاذ سيد قطب في كثير من كتبه : أننا في جاهلية القرن العشرين ، وأنَّ هذه الجاهلية أعظم من الجاهلية الأولى ونحو ذلك من الكلام الذي قد يغتر به بعض الشباب المبتدئ ويُظن أنَّه كلام صحيح . وهو كلام غير صحيح ؛ لأنَّ الجاهلية الأولى لم يكن عندهم وحي قد نزل ، ولا قرآن ، ولم يكن هناك نبي قد بعث ، أمَّا بعد النبي صلى الله عليه وسلم وبعد نزول القرآن والوحي والنور فإنَّه كما قال صلى الله عليه وسلم : « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم** - أو خذلهم - **حتى يأتي أمر الله** » (١)

، فلابد أنَّ يكون في الأرض قائمون لله بحجة ؛ وهؤلاء القائمون قد يكثرون في مكان ويقلون في مكان آخر ، لكن من المحال أن يأتي زمان قبيل قيام الساعة فيه جاهلية أعظم من الجاهلية الأولى ؛ لأنَّه لا تزال طائفة قائمة بهذا الدين حتى يأتي أمر الله سبحانه وتعالى .

فيحذر طالب العلم من هذه الإطلاقات في بعض الكتب وينتبه لها ، وبعض الأدباء وبعض الدعاة المتحمسين يحملون هذه العبارات ويقولونها على المنابر من شدة إنكارهم لبعض المنكرات ، فليس هناك جاهلية أعظم من الجاهلية الأولى التي كانت قبل نزول القرآن وبعثة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .

وهذا مأخوذ من قوله : الله أكبر ، إنها السُنن ، وإن لم يصرح بلفظ الغضب .

السابعة عشرة : القاعدة الكلية لقوله : « إنها السُنن» .

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٣١١) ، ومسلم برقم (١٧٠) - {١٩٢٠} .

القاعدة الكلية في التقليد : وهي أن الأمم يقلد بعضها بعضًا في كل شيء في أمور الملبس وفي أمور الاعتقاد وفي الأمور الاجتماعية ، وهذا هو الواقع الذي نحن نعيشه الآن ، فتجد ابن الإسلام الذي اسمه عبد الله وأحمد وعبد الرحمن ينظر إلى الكافر على أنه الأعلى والأعز فيريد أن يُقَلِّدَهُ في شعره ولباسه ومشيته وطريقة كلامه ، وإذا غير هذا الكافر هذه الأمور غدًا تجد ابن الإسلام يُغيِّر هذا بعد غد ، وهذه مأساة كبيرة جدًا ناتجة عن الجهل والتقليد الأعمى .

الثامنة عشرة : أنَّ هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر .

(**لَتَتبِعُنَّ سَنَن من كان قبلكم**) فكما حصل لبني إسرائيل حصل لهؤلاء النفر من الصحابة ويحصل بعد ذلك لغيرهم من التشبه وهو واقع في هذه الأمة ومذكور في الكتب ونراه بأعيننا ، فمن النَّاس من يتبرك بالأشجار والأحجار ويأتون القبور والأضرحة ويعلِّقون عليها الملابس والأقمشة ونحو ذلك كما فعل أسلافهم .

التاسعة عشرة : أنَّ كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا .

(لنا) يعني ليس لنا جميعًا لكن لبعض من يفعل هذا منَّا ، فإنَّه لمن يأتي بمثل أفعالهم من قومنا ، وكما قال السلف : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبَّادنا ففيه شبه من النصارى ونحو ذلك .

العشرون : أنَّه من المتقرر عندهم أنَّ العبادات مبناها على الأمر ، فصار فيه: التنبيه على مسائل القبر . أمَّا « من ربك ؟ » فواضح ، وأمَّا « من نبيك ؟ » فمن إخباره بأنباء الغيب ، وأمَّا « ما دينك ؟ » فمن قولهم : « اجعل لنا » إلى آخره .

فالعبادات مبناها على الأمر ؛ لأنَّهم قالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط ، فهم لم يذهبوا بأنفسهم ويتخذوا أي شجرة يتبركون بها ! لا ، بل إن من أدبهم ومن علمهم أنَّ هذه العبادات مبنية على التوقيف فالعبادات توقيفية يعني يتوقف في العبادة إلى أن يأتي أمر الشارع افعل هذه العبادة أو لا تفعل ، فالصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوا بأنفسهم ولم يذهبوا ليتبركوا بأي شجرة وإنما طلبوا ، ولذلك قال الشيخ : مبناها على الأمر ، فإذا أمر الشارع ائتمرنا وإذا لم يأمر وقفنا ، وهذا واضح . لكنه قال بعد ذلك **فصار فيه التنبيه على مسائل القبر** يعني هذا استنتاج خفي ودقيق جدًا من الشيخ بمسائل القبر الثلاث يستنتجها من هذا الحديث .

ومسائل القبر الثلاث المعروفة هي : من ربك ، ما دينك ، من نبيك ؟ هذه المسائل الثلاث ورد فيها أحاديث منها حديث البراء بن عازب في مسند أحمد (١) وأصله في الصحيحين(٢) ، فالشيخ يريد أن يستنتج هذه المسائل من هذا الحديث الذي معنا ، وهذا الاستنتاج فيه نوع من الخفاء وفيه دقة .

وقوله : **من ربك ؟** فواضح و لا إشكال فيها ولا خفاء .

---

١) رواه أحمد في المسند برقم (١٨٥٧٥) .

٢) رواه مسلم برقم ٧٣ – (٢٨٧١) .

وقوله : **من نبيك؟** فمن إخباره بأنباء الغيب يعني أنَّه لمَّا أخبر بالغيب السابق بأنَّكم فعلتم وطلبتم كما طلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة فهذا يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّه أخبر بأمر غَيْبي سابق وكذلك أَخبر أنَّ الأمم وأنَّ هذه الأمة ستتبع سبيل ومسلك الأمم السابقة وهذا قد وقع فهذا أيضًا دلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وأنَّه النبي حقًا صلى الله عليه وسلم .

وقوله : **ما دينك؟** فمن قولهم : { **اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** } ، فدلَّ هذا على أنَّ دينه التوحيد وهو مخالفٌ لما هم عليه لأنَّك في القبر يقال لك : **ما دينك ؟** تقول : ديني الإسلام ، والإسلام هو التوحيد هذه مسائل القبر الثلاث .

الحادية والعشرون : أن سنَّة أهل الكتاب مذمومة كسُنة المشركين .

وقد جاءت أحاديث وآثار كثيرة في مخالفة أهل الكتاب كما نخالف المشركين ، ومنها الصلاة في النعال ، ومنها خضب اللحى ، ومنها إعفاء اللحية ، وسنن كثيرة جاءت بأدلة كثيرة في مخالفة أهل الكتاب اليهود والنصارى .

الثانية والعشرون : أنَّ المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يُؤمَن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة ، لقولهم : « ونحن حدثاء عهد بكفر » .

وهذا واقع في كثير من شباب يستقيم ثم تظهر منه أفعال مناقضة لهذه الاستقامة ، فمن أين أتت هذه الأفعال ؟ **الجواب :** من البقية الباقية الموجودة في قلبه من آثار ما قبل الاستقامة ، يعني إذا كان هؤلاء الصحابة وهم صحابة ظهر عليهم هذا الشيء وخرج منهم هذا الكلام وهم في زمن النبوة والرسالة والتنزيل ، فما بالك بغيرهم ممن يأتي بعدهم ، فقد يستقيم الإنسان لكن يبقى عنده عدد من الجاهليات في نفسه إن كان يسب إنسانًا أو يُعيِّره بأمه أو بأبيه أو باللون أو البشرة كما عَير أبو ذر غلامه وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « **إنك امرؤ فيك جاهلية** » يعني فيك خصلة من خصال الجاهلية ، وإلا فإنَّ الناس لا يتفاضل بعضهم على بعض باللون ولا بالبشرة لأنَّه قال لعبده : يا ابن السوداء .

فمسألة التبرك ابتليت بها مجتمعاتنا سواء التبرك بالذوات ، أو التبرك بالأضرحة أو التبرك بالأحجار التي على الأضرحة ، أو الأخشاب التي على الأضرحة وعلى قبور الأولياء كما زعموا وبغير ذلك .